العدول في سورة المجادلة:
دراسة أسلوبية

إعداد

عصام حمدي عطية ضيف

أستاذ الأدب والنقد المشارك في كلية الآداب جامعة الجوف

وأستاذ الأدب والنقد المساعد في كلية اللغة العربية

جامعة الأزهر فرع المنوفية

العدول في سورة المجادلة: دراسة أسلوبية

عصام حمدي عطية ضيف

قسم الأدب والنقد في كلية الآداب جامعة الجوف

وقسم الأدب والنقد في كلية اللغة العربية جامعة الأزهر فرع المنوفية

الملخص :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلــق الله أجمعــين... وبعد

فهذا ملخص بحث بعنوان: " العدول في سورة المجادلة: دراسة أسلوبية"

وقد جاء البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، ثــم فهــرس المصادر والمراجع، تضمنت المقدمــة الحــديث عــن أســباب اختيــار الموضوع، ومنهج الدراسة، ثم التمهيد الذي وقفت فيه مع أسلوب العدول، وأهم الدراسات الأدبية التي تعرضت لظاهرة الأسلوبية، وقــد قســمت البحث ثلاثة مباحث، عني الأول منها بمواضع العدول المتعلقة بذكر اســم الجلالة، وخصصت الثاني بمواضع العدول الخاصة بغير اسم الجلالة، ثم جاء المبحث الثالث حاملاً بين أعطافه جدولاً لحصر جميع مواضع العدول في السورة الكريمة، مع بيان الاسم المظهر، وحكمه الإعرابــي، ونــوع الضمير حال مجيئه مضمرًا، مع الوقوف على إعجاز العدول في التصريح بالاسم ، ومدى علاقته باسم السورة وموضوعاتها، كما حوت السورة عدة مواضع تتسم بالمراوحة بين الأفعال وقد تجلى ذلك في أكثر من موطن، وبخاصة في الآيات التي تضمنت تصوير حركة سواء أكانت حســية أم معنوية.

تلا ذلك خاتمة لتسطير أهم نتائج البحث.

الكلمات المفتاحية : " سورة المجادلة- العدول في القرآن الكريم- الأسلوبية- وضع المظهر موضع المضمر ".

In sura al-Argument: a stylistic study

Essam Hamdi Attia Dhaif

Department of Literature and Criticism at the Faculty of Arts, Al-Jouf University

And the Department of Literature and Criticism at the Faculty of Arabic Language Al-Azhar University Branch of Manofia

Abstract:

Thank God, lord of the worlds, and peace and prayer for the good of god's creation. And yet.

This is a summary of a research entitled: "The Infused in Surat al-Argument: A Stylistic Study"

The research came in the introduction, preface, three investigations, and conclusion, then the index of sources and references, included the introduction talk about the reasons for the choice of subject, the study method, and then the boot in which i stood with the method of abuse, and the most important literary studies that were exposed to the phenomenon of stylistic, the research has divided three investigations, about me The first of them is in the positions of the enemy concerning the mention of the name of The Majesty, and the second was allocated to the positions of the enemy other than the name of His Majesty, and then the third research came carrying between his turns a table to account all the positions of the enemy in the holy surah, with the statement of the name appearance, and his expressive judgment, The type of conscience when he came is embedded, with the expression of the miracle of the enemy in the statement by name, and the extent of its relation to the name of the

surah and its subjects, as the surah has carved several places characterized by fanfare between acts, and this has been manifested in more than one homeland, especially in the verses that included the depiction of movement, whether sensual or moral.

This was followed by a conclusion to underline the most important search results.

key words: "Surat al-Argument" - The adheus in the Holy Quran - stylistic - putting the appearance in the position of the dresser.

المقدمة

أحمد الله تعالى حمدًا يوافي نعمه ويكافئ مزيد عطاياه، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خير خلق الله تعالى، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. ثم أما بعد...

فمن المسلم به لدى الفصحاء والبلغاء أن كتاب رب العالمين هو ذروة الفصاحة والبلاغة، كما أنه المنهل الذي لا ينضب مهما كثر الواردون، ومن ثم نجد كل العلماء على اختلاف مشاربهم ينهلون من معينه الصافي، ولعل أرباب اللغة والأدب هم أول الساعين نحو ه، وقد تجلى ذلك في طرائق شتى؛ فعلماء اللغة يؤطرون لقواعدهم من القرآن الكريم، وفي الطريق ذاته نجد أهل البلاغة يقتفون أثر القرآن نحو بلاغة عالية لا نظير لها، وعلى هذا فلو سلك القرآن مسلكًا ليس معتادًا عند العرب ، فلا بد عندئذ أن يبحث أهل اللغة عن مكمن السر، ومن المعروف لدى العرب أنهم يميلون إلى الإيجاز وعدم الإطالة أو التكرار، ولا يأتي الإطناب أو التكرار إلا لغرض يصبو إليه المتكلم؛ لذا نجد المتكلم يستعمل الضمير للتعبير عن اسم سابق، ولا يعدل عن هذا الأسلوب إلى ذكر الاسم ذاته اعتمادًا على فطنة السامع؛ لذا فلا داعي للذكر مرة أخرى، ولو رام المتكلم مذهبًا آخر غير الذي سبق، فهو بين عدة أمور؛ إما أنه لا يحسن ربط الكلام- وهذا ليس من سمة العربي القح -، أو أنه لا يثق في فهم المستمع، أو لعلة يرنو من خلالها إلى غاية يقصدها في السياق حتى تصيب شيئًا في نفس المتلقي، وقد برزت تلك الظاهرة في القرآن الكريم

بشكل لافت للنظر، كما التفت إليها الكتاب والأدباء، ويدخل في العدول كذلك المراوحة في استعمال الأفعال.

ومن هنا جاءت فكرة البحث عن سر العدول في القرآن الكريم ودلالة ذلك أسلوبيًّا؛ وبخاصة في سورة المجادلة، حيث شاع فيها هذا الأسلوب ؛ ومن ثم أصبح ظاهرة لافتة للنظر، وقد تمثلت **أسباب الاختيار في الأمور الآتية:**

أولاً: أن معايشة القرآن الكريم والتأمل فيه من أجلّ العبادات؛ و يا حبذا لو كان ذلك من أجل استخراج ما فيه من أسرار.

ثانيًا: محاولة الوقوف على سر العدول في السياق القرآني مع سورة تكرر فيها اسم الجلالة أربعين مرة، ومدى العلاقة بين تلك الظاهرة واسم السورة.

رابعًا: يحمل ذلك الأسلوب دلالات وإضاءات لا يصورها إضمار الاسم، وتأتي تلك الأسرار في صورتين؛ صورة عامة يمكن سحب أحكامها على غالب الأساليب، وصورة خاصة يحملها كل أسلوب على حدة.

أما المنهج الذي سارت عليه الدراسة فينبني على الإحصاء والاستقصاء، حيث انبت على حصر جميع النماذج التي تضمنتها السورة، والمتعلقة بالعدول إلى التصريح بالاسم ، وحكمه الإعرابي حال ذكره، ونوع الضمير حال مجيء الأسلوب مضمرًا، ثم الوقوف مع ملامح إضاءات النص المظهر.

وبإلقاء الضوء على الدراسات السابقة التي عنيت بهذه الظاهرة نجدها على النحو الآتي: دراسات عامة، وأخرى خاصة، أما العامة فتمثلت في الدراسات المتعلقة بالأسلوبية، مثل: الأسلوبية والأسلوب، للدكتور عبدالسلام المسدي، و الأسلوب دراسة إحصائية لغوية للدكتور سعد مصلوح الأسلوب، والبلاغة والأسلوبية للدكتور محمد عبدالمطلب، وقد صنفه كُتّاب الأدب ضمن باب " العدول وجعلوه تحت مظلة الدراسات الأسلوبية، ومن الدراسات الخاصة، البنى الأسلوبية دراسة في "أنشودة المطر" للسياب، وغير ذلك من الدراسات الأسلوبية.

وأما علماء البلاغة، فقد تعرضوا لهذه الظاهرة تحت باب الخروج عن مقتضى الظاهر، في حين وسمه علماء التفسير بـــ " وضع المظهر موضع المضمر" أو باب "الإظهار في مقام الإضمار".

وقد جاء البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، ثم فهرس المصادر والمراجع، تضمنت المقدمة الحديث عن أسباب اختيار الموضوع، ومنهج الدراسة، والمنهج الذي سارت فيه، ثم التمهيد الذي وقفت فيه مع ظاهرة العدول إلى الذكر، وقد قسمت البحث ثلاثة مباحث، عني الأول منها بمواضع العدول المتعلقة باسم الجلالة، وخصصت الثاني بمواضع العدول المتعلقة بغير اسم الجلالة، ثم جاء المبحث الثالث حاملاً بين أعطافه جدولاً لحصر جميع مواضع عدول الذكر في السورة الكريمة، مع بيان الاسم المذكور، وحكمه الإعرابي، ونوع الضمير حال مجيئه مضمرًا، مع الوقوف على إعجاز الإظهار ومدى علاقته باسم السورة وموضوعاتها، تلا ذلك خاتمة لتسطير أهم نتائج البحث.

التمهيد

اعتاد العربي أن يسوق كلامه مراعيًا فيه حال السامع، فلا يطنب إذا كان الإيجاز يفي بالغرض، ولا يوجز حال احتياج السامع للإطالة؛ مما يعني أنه ينزل كل كلمة مكانها، ومن ثم يعول على الضمير في حديثه اعتمادًا على فطانة السامع، ولا يتحول إلى التصريح بالاسم إلا لعلة في نفسه، وقد أولى الأدباء هذا الباب مزيد اهتمام وعناية، وبخاصة أنه يتعلق بما يخالف توقع المستمع، إذ مجيء الأسلوب بما يخالف التوقع يكون سببًا في جذب الانتباه، كما أنه يزيد الكلام رونقًا وبهاء، وكأنها رسالة من المتكلم إلى المتلقي حتى يفكر ويتأمل في سر العدول ، ومن جهة أخرى نجد بعض الملامح النفسية المتعلقة بسر العدول، وقد عبر الرازي عن ذلك حيث يقول: " وأما تلطيف الكلام فهو أن النفس إذا وقفت على تمام كلام فلو وقفت على تمام المقصود لم يبق لها شوق إليه أصلاً؛ لأن تحصيل الحاصل محال، وإن لم تقف على شيء منه أصلاً لم يحصل لها شوق إليه، فأما إذا عرفته من بعض الوجوه دون البعض فإن القدر المعلوم يشوقها إلى تحصيل العلم بما ليس بمعلوم فيحصل لها بسبب علمها بالقدر الذي علمته لذة، وبسبب حرمانها من الباقي ألم فتحصل هناك لذات وآلام متعاقبة، واللذة إذا حصلت عقيب الألم كانت أقوى وشعور النفس بها أتم إذا عرفت هذا فنقول إذا عبر عن الشيء باللفظ الدال عليه على سبيل الحقيقة حصل كمال العلم به فلا تحصل اللذة القوية، أما إذا عبر عنها بلوازمها الخارجية عرف لا على سبيل الكمال فتحصل الحالة المذكورة

التي هي كالدغدغة النفسانية؛ فلأجل هذا كان التعبير عن المعاني بالعبارات المجازية ألذ من التعبير عنها بالألفاظ الحقيقية" (١).

وقد تحدث الدكتور محمد عبد اللطيف عن كلمة الأسلوب وكونها مجالاً خصبًا في الدراسة، حيث يقول: " لقد وجدت كلمة الأسلوب مجالاً طيبًا في الدراسات القديمة خاصة في مباحث الإعجاز القرآني، التي استدعت بالضرورة ممن تعرضوا له أن يتفهموا مدلول الكلمة عند بحثهم المقارن بين أسلوب القرآن وغيره من أساليب العرب متخذين ذلك وسيلتَهم لإثبات الإعجاز، وتفاوت هذا المفهوم ضيقًا واتساعًا من باحث إلى آخر"(٢).

ولابن قتيبة طرح في تحديد مفهوم الأسلوب إذ يقول: " إنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خصّ الله به لغتها دون جميع اللغات، فإنه ليس في جميع الأمم أمّة أوتيت من العارضة، والبيان، واتساع المجال، ما أوتيته العرب خصّيصى من الله، لما أرهصه في الرسول، وأراده من إقامة الدليل على نبوّته بالكتاب، فجعله علمه، كما جعل علم كل نبي من المرسلين من أشبه الأمور بما في زمانه المبعوث فيه "، ويصور ابن قتيبة الأحوال التي

---

١ – المحصول، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني،٣٣٦/١، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.

٢ – البلاغة والأسلوبية، ١٠، ط: مكتبة لبنان، الشركة المصرية للنشر لونجمان، الطبعة الخامسة ٢٠١٨م.

ينبغي أن يكون عليها الخطيب فيقول: " فالخطيب من العرب، إذا ارتجل كلامًا في نكاح، أو حمالة، أو تحضيض، أو صلح، أو ما أشبه ذلك- لم يأت به من واد واحد، بل يفتنّ: فيختصر تارة إرادة التخفيف، ويطيل تارة إرادة الإفهام، ويكرّر تارة إرادة التوكيد، ويخفي بعض معانيه حتى يغمض على أكثر السامعين، ويكشف بعضها حتى يفهمه بعض الأعجميين، ويشير إلى الشيء ويكني عن الشيء،

وتكون عنايته بالكلام على حسب الحال، وقدر الحفل، وكثرة الحشد، وجلالة المقام، ثمّ لا يأتي بالكلام كلّه، مهذّبا كلّ التّهذيب، ومصفّى كلّ التّصفية، بل تجده يمزج ويشوب؛ ليدل بالنّاقص على الوافر، وبالغثّ على السمين. ولو جعله كلّه بحرًا واحدًا لبخسه بهاءه، وسلبه ماءه" (٣).

وقد عقب الدكتور محمد عبد المطلب على نص ابن قتيبة السابق قائلاً :" ويبدو من نص ابن قتيبة ربطه الواضح بين الأسلوب وطرق أداء المعنى في نسق مختلف بحيث لكل مقام مقال، فتعدُّد الأساليب راجع إلى اختلاف الموقف أولاً، ثم طبيعة الموضوع ثانيًا، وإلى مقدرة المتكلم وفنّيته ثالثًا... ثم يبرز الدكتور عبد المطلب قدرة ابن قتيبة في الربط بين النوع الأدبيّ وطرق الصياغة عندما ربط الخطبة والموضوع الذي يتصل بها..." (٤).

---

٣ – تأويل مشكل القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ١٧، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٤– ينظر: البلاغة والأسلوبية، ١٢.

ويؤكد ابن الأثير قضية الربط بين الأسلوب وشخصية الشاعر وقدرته الفنية (٥).

وقد عالج غير واحد من النقاد القدامى العلاقة بين الأسلوب والغرض الذي يتضمنه النص، ومن ذلك الخطابي، والباقلاني (٦)، وغيرهم من النقاد القدامى، والمتأمل في رؤى هؤلاء النقاد يجدها تمتح ماءها من معين واحد مفاده أن الأسلوب يختلف باختلاف الموضوع والغرض، كما يتشكل حسب مراد الكاتب وقدرته.

وبإلقاء الضوء على الكتاب في العصر الحديث نجدهم قد أولوا قضية الأسلوب كبير عناية من أمثال المرصفي في "الوسيلة الأدبية"، والرافعي في "إعجاز القرآن"، والأستاذ أحمد الشايب في كتابه "الأسلوب"، والأستاذ أمين الخولي في " فن القول".

أما مفهوم الأسلوبية فقد جلّى معناها الدكتور محمد عبدالمطلب حيث يقول: " إن تحديد معنى كلمة " أسلوبية" بعمقها اللغويّ يستند إلى ازدواجيّة الخطاب، حيث نجد مجموعة من الألفاظ التي يمكن للمتكلم أن يأتي بواحد منها في كل جملة من جمل الكلام، والتي توجد في الرصيد المعجميِّ للمتكلم، والتي تقوم بينها علاقات قابلة للبدليّة، فإذا وقع الاختيار على أحدها، انعزلت البقيّة، وتزدوج العلاقات الاستبداليّة في الكلام بالعلاقات

٥- ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير" ٦٣٧ هـ "، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ٢٨٠- ٢٨١/ ٣، ط: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع الفجالة القاهرة.

٦- ينظر: إعجاز القرآن لأبي بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم ، تحقيق : السيد أحمد صقر، ط:دار المعارف – القاهرة.

الجانبيّة، وهي عملية ثانية تلحق العملية الأولى عقب اختيار المتكلم لألفاظه التعبيرية"(٧).

ويعد العدول في الكلام من المباحث المهمة في الدراسات الأسلوبية، وربما كان في نظرة علماء اللغة ما يكشف الغمام عن هذه الظاهرة، فمن المعروف لدى علماء اللغة أن الكلام يأتي على ضربين مستوى مثالي ويتكأ هذا المستوى على القواعد النحوية، ومستوى أرفع شأنًا وأعلى قيمة أداءً وتعبيرًا ومعنى حيث يعتمد على الإبداع، بالإضافة إلى أنه يحتاج من صاحبه مزيد عناية، وعلى الجانب الآخر يحتاج المستمع إلى جهد في الفكر وعمق في التأمل حتى يتلمس سر العدول عن النمط التقليدي إلى نمط يخالف المتوقع، وعلى هذا فمجيء الكلام على الأصل يخرجه من باب العدول، ولا يوسم الكلام بالعدول إلا إذا حدثت مخالفة لما يتوقعه السامع، ويتجلى ذلك في ظاهرة كالالتفات، والمرواحة بين الأفعال، و تحول المتكلم عن التعبير بالضمير حال دل عليه دليل إلى إعادة الاسم مرة أخرى، وتلكم ظاهرة كلامية معروفة لدى العرب، وقد أولاها الأدباء والبلاغيون اهتمامًا كبيرًا، حيث عنوا بتلمس خيوط يهتدي من خلالها القارئ إلى سر العدول نحو إعادة الاسم والاستغناء عن ضميره، وقد حوى القرآن الكريم بين جنباته نماذج عديدة من هذا اللون الكلامي، ولعل سورة كالمجادلة من أبرز سور القرآن الكريم التي تجلت فيها هذه الظاهرة، وبخاصة فيما يتعلق بتكرار اسم الله تعالى؛ لذا عنيت بالوقوف مع هذا الأمر، حتى عرفت سورة المجادلة من بين سور القرآن بأنها السورة الوحيدة التي حوت كل آية من آياتها اسم الجلالة " الله"، كما

٧ – البلاغة والأسلوبية، ١٨٦– ١٨٧.

برز أسلوب العدول في المراوحة بين الأفعال، وبخاصة في الآيات التي تضمنت تصوير حركة سواء أكانت حسية أم معنوية.

وللدكتور" أبو موسى" حديث ممتع كشف من خلاله عن منزلة هذا الضرب من الكلام عند العرب، حيث قال:"وهناك ضرب من وضع الظاهر موضع المضمر يراد به مع هذه الخصوصية تقرير المظهر، وتمكينه في القلوب، ومن ذلك قوله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ} ، قال {اللَّهُ الصَّمَدُ} بعد ذكر لفظ الجلالة، وآثر المظهر على الضمير؛ لأن للفظ الجلالة بمدلوله الكريم وقعًا عظيمًا في القلوب، والمراد تمكين الألوهية، وإشاعة هيمنتها في الضمائر، وخذ المصحف واقرأ فيه من أي موضع تشاء تجد هذا الأسلوب، وكأنه أصل من أصول البلاغة القرآنية، تجد أسماء الله الحسنى، وخصوصًا هذا الاسم الأعظم الذي يقع هذا الموقع في كثير من الجمل القرآنية لينساب نورها الغامر في القلوب، وتشيع مدلولاتها فتتمكن من النفوس زيادة تمكن، وتتقرر في السرائر أحسن قرار، وبذلك تتربى مهابة الحق وحده في الأمة التي يربيها القرآن، فلا يكن في صدرها خشية إلا لله وللحق (٨).

وقد أدرك البلاغيون وحي الكلمة، وعملها بما يثيره لفظها من شئون في النفس لا يستطيعها الضمير العائد عليها، فأشاروا إلى أن الكناية – يعنون بها الضمير– التعويض لا يعملان في العقول عمل الإفصاح والكشف، فإذا كان الضمير يعطي إشارة ذهنية إلى العائد عليه هذه الإشارة تحضره في النفس إلا أن قدرًا كبيرًا من التأثير يظل الاسم الظاهر

٨– خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د/ محمد محمد أبو موسى، ٢٤٧، نشر: مكتبة وهبة، الطبعة: الرابعة،١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

محتفظاً بها، ولا يستطيع الضمير حملها نيابة عنه؛ لأنها تتولد حين يقرع اللفظ السمع بجرسه، وارتباطاته المختلفة جد الاختلاف، والتي اكتسبها في قصته الطويلة مع الكلمات، والأحداث والمواقف، خذ لذلك قوله تعالى: {وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ}، فإنه من الواضح أنه لو قيل: وبه نزل لكان الضمير عائدًا على الحق، ومؤديًا معناه من حيث الدلالة النحوية أو الدلالة المنطقية، ولكن يبقى لكلمة الحق من القدرة على إثارة قدر كبير من الخواطر لا ينهض الضمير بشيء منها.

وليس ذلك خاصًّا بكلمة الحق ودلالتها الإنسانية الخصبة، وإنما يجري في كثير من الكلمات التي لها في سياق الحديث مكان خاص، انظر إلى قول النابغة:

نفس عصام سودت عصاما ... وعلمـــــته الـــــكر والإقداما

نجده لم يقل: نفس عصام سودته، وإن كان الضمير عائدًا على عصام من غير لبس؛ لأنه أراد أن تقع السيادة من نفس عصام على عصام هكذا بلفظه"(٩)، ولعبد القاهر كلام عن سر الإظهار في البيت السابق؛ فيه دور الاسم الظاهر في المعنى الذي يريد المتكلم نقله، ومن ثم لا يتأتى ذلك للضمير:

"لا يخفى على من له ذوق حسن هذا الإظهار، وأن لهذا الإظهار موقعًا في النفس، وباعثًا للأريحية لا يكون إذا قيل: نفس عصام سودته شيء منه البتة".

٩ – خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني للدكتور/ محمد محمد أبو موسى ٢٤٧– ٢٤٨، نشر: مكتبة وهبة، الطبعة: السابعة.

والموقع في النفس وبعث الأريحية هو من الكلمة من حيث هي صوت لكل جرس فيها خاطر سكن النفس مع هذا الجرس وانبعث به، وإلا فأي فرق بين زيد، والضمير العائد على زيد؟([١٠])، ومن ثم فإن هذا النمط الأسلوبي يحتاج إلى مزيد تأمل حتى يستطيع القارئ أو المتلقي الإحاطة بسر العدول، وذلك أشبه بخيط حريري ولا يمكن تلمسه إلا بعد معاناة ومكابدة، وفي ذلك اشتياق ومتعة، كما أنه أثبت في الفهم، وقد عبر عبد القاهر الجرجاني عن تلك المعاناة " ومن المركوز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نَيله أحلَى، وبالمزِيَّة أولى، فكان موقعه من النفس أجلّ وألطف، وكانت به أضَنَّ وأَشْغَف، ولذلك ضُرب المثل لكل ما لَطُف موقعه ببرد الماء على الظمأ"([١١]).

١٠ – دلائل الإعجاز في علم المعاني، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، ٥٥٧، نشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

١١ – أسرار البلاغة، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر ، ١٣٩،ط: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.

المبحث الأول

دلالة العدول إلى ذكر اسم الجلالة

اتسمت سورة المجادلة عن غيرها من سور القرآن الكريم بأن توافر اسم الله تعالى في كل آياتها، حيث لم تخل آية منها إلا وذكر فيها اسم الله – عز وجل–، بل امتد الذكر حتى وصل في بعض آياتها إلى أربع أو خمس مرات، كما جاء ثلاث مرات في أكثر من آية على الرغم من قصرها؛ لذا استدعت تلك الظاهرة النظر حتى يتم الوقوف معها؛ لنتعرف على بعضٍ من لطائف التصريح باسم الله تعالى دون التحول إلى الضمير، كما حملت السورة مواضع مظهرة أخرى غير اسم الله تعالى، وحوت كذلك عدة مواطن للعدول بين الأفعال، لكنها ليست بكثرة العدول إلى التصريح باسم الجلالة، ومن هنا جاء الوقوف مع العدول بين الأفعال في ثنايا الحديث عن العدول إلى التصريح باسم الله؛ وبخاصة أن المراوحة بين الأفعال لها صلة وثقى في ذكر اسم "الله".

الموضع الأول، والثاني، والثالث: "قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ"(١).

تحمل الآية الأولى من سورة المجادلة ثلاثة مواضع ذكر فيها اسم الجلالة ذكرًا صريحًا دون العدول إلى الضمير، وقد تجلى الموضع الأول منها في قوله تعالى: " وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ" وحكمه الإعرابي الجر، وجاء الثاني في موضع الرفع، وهو قوله تعالى: " وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا" أما الثالث فجاء في موضع النصب، وهو قوله تعالى : " إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ".

والمتأمل في الآية السابقة يجد أنه كان من الممكن أن يقال: قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إليه، وهو يسمع تحاوركما، إنه سميع بصير، لكن الناظر المتمعن يجد عدة لطائف تدعو لأن يأتي الأسلوب القرآني على هذا النمط.

أولاً: بُدئت السورة بقد التي تفيد التحقيق، ومن معانيها كذلك التأكيد، والذكر من دعائم التحقيق والتأكيد؛ لذا جاء تكرار اسم الجلالة " الله" ليتآزر مع المقصود من التحقيق المؤكد.

ثانيًا: جاء ذكر اسم الله – عز وجل– عقب الفعل المضارع "تشتكي"، ذلك الفعل الذي حمل تاءين بين جنباته؛ أولهما تدل على المضارعة، والأخرى تحمل معنى الطلب، ومن دلائل الفعل المضارع أنه يتسم بالتجدد والحدوث، وذلك أنسب مع التاء التي تفيد الطلب، ووجود التجدد والطلب مع إظهار اسم المطلوب منه أولى من إضماره؛ حتى يستحضر الطالبُ صورة المطلوب منه.

ثالثًا: يعد تكرار الضمائر من الأمور التي تُفقد الأسلوب جزءًا من البريق؛ لأن تكرار الاسم مما يتلذذ به، وبخاصة إذا كان الاسم هو اسم الله الأعظم "الله"، وجاء ذكره في مقام حكاية حالة المرأة وما تعانيه من ألم نفسي وبدني إزاء ما حدث لها من زوجها – من جهة – وما قال به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من جهة أخرى من كونها أصبحت محرمة عليه.

رابعًا: يأتي التصريح باسم الله – تعالى – في المرة الثالثة من الآية في مقام ما حكاه الحق – جل وعلا – عن إعادة تسمية الحوار الذي دار بين خولة ورسول الله، وقد سماه القرآن تحاورًا بعد أن أطلق عليه

مجادلة قبل ذلك، ويبدي التصريح هنا بالاسم الظاهر لطيفة تكمن في إعادة تسمية ما حدث بين المرأة ورسول الله وكأنه عتاب لطيف لبيان أن خولة ما كان ينبغي أن تمعن في مجادلة رسول الله، و في ذلك رسم للمنهج الذي ينبغي علينا أن نتحاور فيه مع الرسول، غير أن النمط القرآني ساق ذلك في أسلوب هادئ يأخذ بمجامع القلوب ليعلن من خلاله أن لصاحب الحق مقالاً.

خامسًا: يختم السياق القرآني الآية بذكر اسم الله تعالى للمرة الرابعة، ومن ملامح الذكر في تلك المرة كونه مسبوقًا بـــ " إن " التي تفيد التأكيد، ويأتي الإظهار للمرة الثالثة في الآية الأولى من السورة ليتآزر مع قضية السماع التي ساقتها الآية في الجملة السابقة، ولتأخذ بحجز التأكيد الذي افتتح به السورة.

سادسًا: افتتحت الآية بجملة تؤكد أن الله سمع ما حدث، واختتمت بما يدعم الأمر ذاته، ولكن بأسلوب يوحي بثبات الصفة لله – سبحانه وتعالى – بل وزيد عليها صفة أخرى ألا وهي صفة البصر، وعلى هذا فقد حوت الآية الأولى من السورة ثلاثة من أسماء الله تعالى؛ تكرر واحد منهم أربع مرات؛ ويشي التصريح في الآية بمدى إحاطة الحق – جل وعلا – بالأمر ، كما يبث المهابة والاطمئنان في نفس المرأة التي ذهبت تشتكي لرسول الله ما حدث لها من زوجها؛ وبخاصة بعد مقالة الرسول لها، حيث أصبحت مهيضة الجناح، وكأن الدنيا مظلمة في وجهها، فأولادها بين الجوع أو الضياع ؛ لذلك يتوجب علينا أن نشكر الله؛ لأنه أسمع بنا من أنفسنا.

" وقد التفت الطاهر بن عاشور إلى ذلك الأمر حيث قال: "وتكرير اسم الجلالة في موضع إضماره ثلاث مرات لتربية المهابة وإثارة تعظيم منته تعالى ودواعي شكره." (١٢).

سابعًا: حوت الآية السابقة أربعة أفعال؛ واحدًا ماضيًا، وثلاثة مضارعة؛ وهي " سمع، وتجادل، وتحاور، ويسمع" ولم تسر على نمط واحد، وإنما صدرت السورة بفعل ماض مقرون بقد، ثم توالت الأفعال المضارعة؛ وينبئ ذلك الامتداد بأن القضية مكثت مدة من الزمن؛ وبخاصة أن الأفعال المضارعة جاءت متوالية دون أن يفصل بينها بفعل غير مضارع، ومن هنا لم يأت الجواب من الله عقب شكوى المرأة وإنما ظلت تجادل الرسول تارة وتحاوره تارة أخرى، حتى جاء الفتح من الله.

الموضع الرابع:" فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ "(٤) تضمنت الآية الرابعة من السورة موضعًا جديدًا من التصريح باسم الله، وجاء الذكر في موضع الجر بالإضافة، وهو قوله تعالى: "ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ "

يتأتى هذا الموضع بين أمرين مهمين؛ **الأول:** قضية الإيمان بالله ورسوله، والأمر **الثاني:** أن الالتزام بما مضى من أحكام إنما هو من حدود الله تعالى، ثم أعقب ذلك بما يفيد بأن للكافرين عذابًا أليمًا، ويتبدى من خلال ذلك أن المؤمن لن يوصف بصفة الإيمان إلا إذا صنع ما أمره

١٢- التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور٦/٢٨.، دار النشر: دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧م.

الله به، فلا يلجأ إلى الصيام إلا بعد افتقاد الرقبة، و لا يمس امرأته إلا بعد صيام الشهرين، وعلى المنهج ذاته لا يحق له المس إلا بعد الانتهاء من إطعام الستين مسكيناً وفي ذلك اصطحاب لعدم المس الوارد مع الصيام، ويتجلى من بديع الإظهار مدى التعانق بين قضيتي الترغيب والترهيب، الترغيب في الإيمان بالله ورسوله، والترهيب من الوقوع في حدود الله، ومن ثم تكون النتيجة أن للكافرين عذابًا أليمًا، وللذكر دلالات لا يحملها التعبير بالمضمر، فلو قيل في غير القرآن: وتلك حدوده، لم تف الجملة المضمرة بما جاءت به المظهرة، فإلصاق الحدود باسم الله يحمل تخويفًا وزجرًا، لا يؤديه الضمير، وبخاصة بعد مجيئها عقب اسم الإشارة التي للبعيد في إشارة إلى أنه ينبغي على كل مؤمن أن يبتعد من الوقوع فيما حرم الله، ويحمل الذكر تخويفًا آخر يتعلق بالمُظَاهِر ذاته، إذ ربما ظن أنه بمجرد ابتدائه في أداء الكفارة حل له كل شيء وعاد الأمر إلى سابق عهده، ولكن أنى له ذلك، فلا تماس إلا بعد الانتهاء من أداء الكفارة كاملة، ومن هنا يتبدى سر التعبير بالأفعال المضارعة في الآية كلها؛ ويشي ذلك بأن هذا النوع من الكفارات يأخذ مدة من الزمن حتى يستطيع المُكَفِّرُ الوفاء بكفارته.

وقد يتوهم بعضهم أن قوله تعالى: " وتلك حدود الله ليس من باب وضع العدول استنادًا إلى القاعدة النحوية التي تنص على أن الضمير يعود إلى أقرب مذكور؛ وهو رسوله في الآية الكريمة، ويمكن الرد عليهم بأن الحدود لا تضاف إلى الله فتصبح مركبًا إضافيًّا، ومما يقوي هذا الأمر ويؤكده اقتران ذكر الله بالرسول في قوله تعالى في سورة النساء: " ومن يعص الله ورسوله"، ثم اقترانها بعد بقوله تعالى: "ويتعد

حدوده" دليل على أن الحدود لا تضاف إلا إلى الله، ومن ثم فقد كان يمكن أن يقال في غير القرآن الكريم: وتلك حدوده، ولا ينصرف الذهن إلا إلى الله؛ نظرًا لما جرى عليه النسق القرآني في سورة النساء، وما يجري عليه الفقهاء في استعمالاتهم.

الموضع الخامس: " يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ"(٦).

تحمل الآية السادسة من السورة الموضع الخامس من مواضع العدول إلى التصريح باسم الله تعالى، وقد تجلى ذلك من خلال قوله تعالى : " أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ"، وجاء الاسم المعدول هنا مرفوعًا، ولو أُضمر لكان الضمير منفصلاً، وعلى هذا فيكون النسق في غير القرآن وهو على كل شيء شهيد، ولعل أول ما يلفت النظر في هذه الآية أنها على الرغم من قصرها – حيث بلغت خمس عشرة كلمة بخلاف حروف العطف– فقد تكرر اسم الله الأعظم ثلاث مرات، وفي ذلك تواؤم مع مقصود الآية الأعظم إذ تصور مشهدًا من مشاهد يوم القيامة، وجاءت عقب بيانٍ بيّن الله فيه ما سيلحق الكفار، ثم تأتي الآية لتؤكد حقيقة البعث– التي ربما ينكرها المعاندون– لتقطع عليهم ما يتمنونه في ذلك اليوم، وبخاصة مع وجود كلمة " جميعًا"، ولما كان الإحصاء قبل البعث احتاج الأسلوب لذكر فاعله؛ وهو الله – عز وجل– ثم تأتي جملة " والله على كل شيء شهيد؛ بالإظهار دون الإضمار لتحمل بين حناياها تخويفًا وزجرًا للكفار الذين نسوا ما اقترفوه في حياتهم ، ويشي التصريح بالاسم بأن الله شهيد على ما عملوه، وشهيد كذلك على عذابهم يوم يبعثهم.

وحملت الآية السابقة أربعة أفعال؛ اثنين في صيغة المضارعة، واثنين في صيغة الماضي، ولو رام المتأمل ما يوحيه العدول من المضارعة إلى الماضي لتبين له مدى دقة استعمال المضارع مع "البعث، والإنباء"، إذ هما حدثان مستقبلان ، أما الإحصاء فهو حادث ثابت، كما يشي استعمال الفعل الماضي بالثبوت، وبخاصة أنه جاء لمجابهة الفعل نسي المتعلق بالكفار.

الموضع السادس: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ "(٧).

تضمنت الآية السابقة اسم الجلالة " الله" مصرحًا به منصوبًا، وكان من الممكن في غير النسق القرآني أن يأتي مضمرًا متصلاً؛ ليكون الكلام في غير القرآن إنه بكل شيء عليم، ومجيء الاسم في ختام الآية ليتوافق مع خواتيم آيات السورة التي تصور صفة من صفات الله – عزو جل – وبخاصة أن المظهر هنا مأخوذ من الضمير المستتر الذي سبقه في قوله تعالى : " ثم ينبئهم بما عملوا"؛ لذا يأتي ختام الآية وقد اشتمل على جملة مؤكدة بـــ "إن" ومتضمنة فاعلاً مظهرًا لتكوّن إحاطة تامة لما بين اسمي الجلالة " الله" المذكورين في صدر الآية وختامها، كما أن الذكر هنا يأخذ بلب صاحبه فيكون على حذر دائم من الله.

الموضع السابع: " إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ "(١٠).

اشتملت الآية العاشرة من السورة على موطن جديد جاء الاسم فيه معدولاً عن الضمير ، وكان من الممكن في غير النسق القرآني أن يكون

مضمرًا متصلاً؛ وهي جملة " وعلى الله فليتوكل المؤمنون"، وقد جاء الاسم مظهرًا في مقامٍ يبرز مدى توكل المؤمنين على الله، وبخاصة أن طلب التوكل من الله على الله جاء عقب بيان "أن التناجي يوهم الذين آمنوا ما ليس واقعًا فأعلمهم الله أن لا يحزنوا بالنجوى؛ لأن الأمور تجري على ما قدره الله في نفس الآمر حتى تأتيهم الأخبار الصادقة"(١٣)، إن المتأمل للجملة التي اختتمت بها الآية؛ والتي تضمنت اسم الله مظهرًا؛ يجدها تصلح لأن تجري مجرى المثل والحكمة، ولو جاءت بالضمير لافتقدت تلك المزية؛ إذ إن توكل المؤمن على الله في كل أموره مما هو مسلم به، ومن هنا فإن العبارة السابقة تجري على ألسنة المؤمنين في سرهم وعلنهم، وقد تكرر هذا الختام في مواطن عديدة من القرآن الكريم، وجاءت كلها في مواجهة الشيطان وحزبه، أو الكفار ومن ناصرهم (١٤)، ولا يخفى ما يحمله تقديم الجار والمجرور من لطائف إذ يشي ذلك باختصاص الله بهذا الأمر، كما يحمل التقديم اهتمامًا بالمُتَوَكَل عليه، ومن جهة أخرى نجد أن ذكر اسم الله مرتين تصريحًا يحمل بين طياته قوة يتسلح بها المؤمنون في مجابهة نجوى الشيطان وحزبه.

الموضع الثامن: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ "(١١).

---

١٣ – التحرير والتنوير، ٣٦/٢٨.

١٤– سورة آل عمران آية رقم "١٢٢"، وسورة المائدة آية رقم "١١"، وسورة التوبة آية "٥١"، وسورة إبراهيم آية رقم " ١١"، وسورة التغابن آية رقم "١٣".

تأتي الآية الحادية عشرة من السورة لتسطر موضعًا جديدًا من المواضع التي جاء الاسم فيها معدولاً عن الضمير، وقد تجلى ذلك من خلال قوله تعالى: " يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ " ولو نظرنا إلى الآية السابقة لوجدنا أنه كان من الممكن أن يقال في غير السياق القرآني: وهو بما تعملون خبير، وقد جاء الاسم المظهر في موضع الرفع، وجاء تذييل الآية متضمنًا اسم الجلالة "الله" عقب أمرين وبشارة، أما الأمران، فهما: التفسح في المجالس، والنشوز، ولا يخفى التآزر الشديد بين التفسح والنشوز في المجلس فكلاهما مما يمكّن القادم من الجلوس، ثم تأتي البشارة بعد الأمرين السابقين؛ لتكون بمثابة الحافز من أجل الامتثال لما أمر الله به، وتُختتم الآية بما يفيد بأن الله خبير بما يعملون، ويحمل الاسم المظهر تقوية للمعنى وتأكيدًا يتناسب مع كونه خبيرًا بما يعمله كل إنسان، إذ ربما امتثل المأمور بما أمره الله به امتثالاً ظاهرًا من حيث التفسح والنشوز، غير أن البشارة برفع المؤمنين وأولي العلم تأتي لتضع كلاً في مكانه وحسب نيته، ولا يكون ذلك إلا من الله العليم الخبير، وغير خافٍ أن النفس تستنكف أن تُؤمر، فما بالنا لو جاء الأمر بعد أن جلست واستراحت، وربما استعظم المتفسحُ من نفسه إزاء من يُهيئ له المكان من أجل الجلوس؛ لذا يأتي التعبير بالاسم الظاهر في قوله " والله بما تعملون خبير"؛ ليغلق باب المجادلة على من يريد أن يفتح مثل هذا الباب حتى ولو كان من باب حديث النفس إلى النفس.

الموضع التاسع: "أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ "(١٣).

تأتي الآية الثالثة عشرة من السورة لتضع أيدينا على موطن جديد من مواطن العدول المتعلقة باسم الجلالة " الله" بدلاً عن الضمير، وقد جاء هذا الموضع مذيلاً في ختام الآية في موضع الرفع، وهو قوله تعالى : "وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ " إذ كان من الممكن في غير الأسلوب القرآني أن يقال : وأطيعوا الله ورسوله هو خبير بما تعملون، باستعمال الضمير المنفصل، غير أن انفصال الضمير يجعل الخواتيم التي تحمل الصفات التي اختص الله بها نفسه تأتي مخالفة لما جاءت عليه كل خواتيم السورة، كما لا يخفى مدى التعانق بين هذا التذييل وتذييل الآية الحادية عشرة، " وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ " لكن هناك تباينًا بين التذيلين حيث قُدم في الأولى العمل على صفة الخبير، وأُخر في الثانية صفة الخبير عن العمل، وإخال أن مرجع التقديم والتأخير متعلق بما صورته الآية قبل التذيل، فلما كان الأمر متعلقًا بالله – جل وعلا– تقدمت صفة الخبير على بما تعملون ؛ لذا جاءت هكذا " وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ"، وأما تقديم جملة بما تعملون على صفة الخبير في الآية الحادية عشرة فيرجع إلى تعلق الأمر بالذين آمنوا، ومن هنا جاء التعبير القرآني على النسق الآتي " وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ".

الموضع العاشر : " كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ"(٢١).

تضع الآية الحادية والعشرون أعيننا على موضع جديد من مواضع العدول إلى التصريح باسم الله ، وقد تجلى ذلك مع اسم الله تعالى "الله" الذي جاء في الجملة الختامية لهذه الآية، و جاء الاسم المظهر منصوبًا، ولو أضمر لكان حقه الاتصال؛ ليكون الكلام في غير كتاب الله

تعالى إنه قوي عزيز، ويتبدى الإظهار هنا في موطن استعراض الغلبة والقوة وما يتبع ذلك من عزة، كما تضمن الأسلوب تأكيدًا لتقوية المعنى في ذهن السامع، ومما لا شك فيه أن الإظهار مما يساعد في رسم صورة الغالب المنتصر، لا سيما وقد حمل الأسلوب تأكيدًا آخر مع "إن" وهو ما وصَف به الله تعالى نفسه من كونه قويًّا عزيزًا، كما أن تذييل الآية بهذا الإظهار يجعلها صالحة لأن يتمثل بها في مواطن الغلبة والقوة، وطلب العون من الله – عز وجل–، كقولنا " والله المستعان" عدولاً عن قولنا: هو المستعان أو إنه المستعان به، وكقولنا: الحمد لله عدولاً عن قولنا: الحمد له، ومن ناحية أخرى نجد كلمة " كتب " التي افتتحت بها الآية توحي بالثبوت وعدم التغيير متوائمة متآزرة مع اسم الجلالة الذي تكرر مرتين بشكل صريح، وجاء ثالثة بالضمير المعظم نفسه، ثم جاءت كلمة الرسل معطوفة عليه وما أضيف إليها من ضمير المتكلم العائد على الله – جل وعلا– وكأن النسق القرآني جاء بكل هذه المرشحات لبث الرعب والخوف في نفوس من يظن في نفسه أنه قادر على محادَّة الله تعالى.

تضمنت الآية السابقة فعلين أولهما ماضٍ، والآخر مضارع مؤكد باللام والنون، ويحمل العدول إلى المضارع المؤكد قوة لا يصورها استمرار مجيء السياق بصيغة الماضي، بالإضافة إلى تضمن المضارع معنى الاستمرارية والتجدد؛ مما يؤدي إلى بث الطمأنينة والسكينة في نفوس المؤمنين، ثم إن تصدير الآية بالفعل الماضي "كتب" مع التصريح بالفاعل وهو الله– عز وجل– يأتي متآزرًا وآخذًا بحجز الفعل المضارع المؤكد ليرسم صورة ماضية ومستقبلية لغلبة الله ورسله.

الموضع الحادي عشر، والثاني عشر: " لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢).

تأتي الآية الأخيرة من السورة لتسطر حلقة من سلسلة الحلقات التي جاء فيها الأسلوب القرآني معدولاً إلى التصريح باسم الله تعالى " الله"، وبالنظر إلى جميع آيات السورة نجد أن تلك الآية هي أكثر الآيات التي ورد فيها اسم الله تعالى، حيث تكرر خمس مرات، تليها آية صدر السورة واشتملت على أربع مرات، وقد تضمنت الآية الأولى ثلاثة مواطن للاسم المظهر الذي حقه الإضمار، في حين اشتملت الآية الأخيرة على موضعين، والموضعان جاءا في موضع الجر، وأما ضميرهما فكان حقه الاتصال، وكان من الممكن في غير السياق القرآني القول: " أولئك حزبه ألا إن حزبه هم المفلحون" اكتفاءً بالضمير بديلاً عن الاسم المظهر " الله" الذي أضيف إلى كلمة " حزب".

وتشي إضافة اسم الجلالة " الله" إلى كلمة حزب بعدم الانفكاك، وكأنها في مجابهة حزب الشيطان الذي سبق الحديث عنه، كما تبعث تلك الإضافة طمأنينة وهدوءًا وسكينة في قلب المؤمنين، وعلى الجهة الأخرى تبعث الخوف والرعب في نفوس حزب الشيطان، وقد جعل أبو السعود إضافة كلمة حزب إلى الله تعالى إضافة تشريف لبيان اختصاصهم به عز

وجل ([١٥])، كما أن المتأمل الآية يجدها حملت عدة بشارات للمؤمنين، وهي: دخول الجنة، ورضا الله عز وجل، ثم إضافة هذا الصنف من المؤمنين ليكونوا من حزب الله، ثم إن تلك البشارات لا تتأتى للمؤمنين إلا بعد دفع الثمن، ويكمن الثمن في ترك مودة من يحادد الله ورسوله، ولو اقتصر الأمر على ذلك لكان الأمر هيناً لكنه لما كان متعلقًا بالآباء أو الأبناء أو الإخوان أو العشيرة، ومن هنا فإن الأمر جد عسير؛ لذا جاءت كل تلك البشارات، وكأنها تهيء نفوس المؤمنين لأن يكونوا من حزب الله؛ وذلك شرف أعلى من شرف النسب الذي يُفْتَخر به، كما لا يخفي المعالجة النفسية من قبل النص القرآني مع الاسم الظاهر دون الضمير، فالنفس متعلقة بالآباء ومن ذُكر معهم على الرغم من الخلاف بينهم، وما موقف نوح – عليه السلام– من ابنه الكافر عنا ببعيد، إذ جعل ابنه من أهله على الرغم من اختلاف الدين، لكن حكم الله قطع تعلق الأب بولده وهو نبي فما بالنا ببقية البشر، ومن هنا يأتي العدول في الآية إلى الاسم الظاهر لتأكيد التعلق بالله دون غير مهما كانت درجة القرابة.

١٥ – ينظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، ٢٢٤/٨نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

المبحث الثاني

دلالة العدول إلى غير اسم الله تعالي

موضع "الإثم والعدوان ومعصية الرسول": " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ"(٩).

اشتملت الآية الثامنة على عدول في الأسلوب القرآني من الإضمار إلى الإظهار، وقد تجلى ذلك من خلال قوله تعالى: " فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ"، وهذه الجملة مظهرة من الجملة التي سبقتها في الآية التي قبلها، وهي: " وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ"، ويتسم هذا الموضع بأنه جاء متضمناً جملة وليس لفظة واحدة كالمواضع السابقة أو اللاحقة، كما جاءت الجملة الأولى في آية والثانية في آية أخرى، وكان من الممكن أن يكون النسق في غير القرآن هكذا فلا تتناجوا بها؛ كما أن الآية الأولى ذكرته قبل كلام قد ينسى السامع أو القارئ ما سبق لطول ما بين المذكورين؛ فيكون الضمير في بها عائدًا على الإثم والعدوان ومعصية الرسول السابق ذكرها، غير أن إظهار الجملة المجرورة وعدم مجيئها بالضمير المتصل يحمل إيحاءات لا يصورها الضمير، من حيث إفادة تأكيد الحكم وتقويته في أذن السامع، كما أنه يجعل المتلقي على إحاطة دائمة بما ينبغي أن يفعله إزاء قضية التناجي وبخاصة أن الآية التي تضمنت الجملة المظهرة رسمت المنهج الذي ينبغي

أن يسير عليه المؤمن بعد وهو التناجي بالبر والتقوى، وكأن التناجي بالبر والتقوى يسلم المؤمن لتقوى الله عز وعلا، كما أن التصريح بما ينبغي ألا يكون، وما ينبغي أن يكون في قضية التناجي يجعل المستمع أو القارئ يضع الأمرين نصب عينيه؛ ليكون على حذر دائم مما نهى الله عنه، وكأنه تخويف وزجر حتى لا يقع المؤمن في المحظور.

موضع "حزب الشيطان": "اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ" (١٩).

تأتي الآية التاسعة عشرة لتضع أمامنا موضعين جديدين من مواضع العدول إلى الإظهار، ولعل هذين الموضعين لهما خصيصة ليست في المواضع السابقة أو اللاحقة؛ إذ هما في حق الشيطان وحزبه، وتأتي الآية التي تحدثت عن الشيطان وحزبه عقب الحديث عن حال الذين تولوا، وما كانوا يفعلونه في الدنيا من اتخاذ أيمانهم جنة ليصدوا بها عن سبيل الله، ومن ثم كانت الهلكة لهم، إذ استحواذ الشيطان عليهم سبب في نسيان ذكر الله، وقد حملت الآية موضعين متتاليين يتعلقان بكلمة واحدة؛ وهي الشيطان، ويحمل العدول إلى الإظهار مع التكرار إيحاءً لا يصوره الضمير ، وبخاصة أن الكلمة تكررت ثلاث مرات في آية بلغت عدد كلماتها خمس عشرة كلمة، أي ما يعادل خُمس كلمات الآية، ومما لاشك فيه أن هذا البناء يحمل إعجازًا، فعلى الرغم من تكرار كلمة واحدة بهذا العدد وسط خمس عشرة كلمة إلا أن الأذن لم تستشعر نشازًا من التكرار، إلا بقدر ما أراد القرآن من التنفير من الشيطان وحزبه، كما أنه ذكرَ اسم الشيطان بالاسم الصريح في المرة الثانية جاء لدفع التوهم غير المراد؛ نظرًا لوجود اسم الله تعالى في الجملة التي قبله مباشرة، ولا تتضح الرؤية

بشكل دقيق إلا مع ختام الآية من خلال قوله تعالى "هم الخاسرون" التي تعود على الشيطان وحزبه، وقد حملت سورة النور موضعًا يشبه هذا الموضع ولكنها أضافت الشيطان إلى الخطوات ثم جاء التعبير بذاته معادًا على جهة العطف، قال تعالى: " يا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ..." الآية (١٦)، ويتبدى من خلال هذا التلازم مدى التنفير من الشيطان وحزبه، إذ فيهما الخسران المبين، كما يحمل العدول إلى الإظهار تواؤمًا مع كلمة استحوذ عليهم الشيطان؛ لذا يوحي التعبير بحزب الشيطان مع كلمة "استحوذ" التي سبقته بأن الشيطان ضرب عليهم شباكه من كل اتجاه حتى صاروا تحت هيمنته وسيطرته؛ لذا أصبحوا حزبه، كما لا يخفى ما تحمله ألا الاستفتاحية من تنبيه لكل غافل حتى يَحذر المؤمن هذا النوع من التحزب، ثم تأتي إنّ عقب ألا لتقوية الأسلوب وتأكيده، وكأن كل هذه المنبهات والمقويات بمثابة علامات ليتنبه كل غافل ساهٍ حتى لا يجنح إزاء الشيطان وحزبه وإلا كان الخسران المبين، ومن جهة أخرى يلحظ أن تكرار كلمة الشيطان وفيها حرف الشين ذلكم الحرف الذي يحمل صفة يتفرد بها بين حروف العربية؛ وهي صفة التفشي، تلكم الصفة مع هذا الحرف ومجيؤها في كلمة الشيطان متلبسة بكلمة " حزب" كل ذلك يحمل دلالة مدى انتشار الشيطان وتأثيره على من ركن إليه حتى فشا وانتشر وسيطر على كل أفكاره وأصبح من جند الشيطان – أعاذنا الله منه – كما أن إعادة جملة "حزب الشيطان" صريحة يجعلها صالحة للتمثل بها كما قال صاحب التحرير " وإظهار

١٦ – سورة النور آية رقم "٢١".

كلمة "حزب الشيطان " دون ضميرهم؛ لزيادة التصريح ولتكون الجملة صالحة للتمثل به مستقلة بدلالتها."([١٧]).

موضع اسم الإشارة: " إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ "(٢٠).

حوت الآية السابقة كلمة جديدة للعدول في الأسلوب، ويحمل هذا الموضع سمة لا تتوافر في غيره من المواضع السابقة أو اللاحقة، إذ جاء العدول في اسم إشارة من الاسم الموصول الذي سبقه، وقد التفت الطاهر ابن عاشور إلى هذا الموضع وعقب عليه بقوله: "إظهار في مقام الإضمار فمقتضى الظاهر أن يقال : إنهم في الأذلين فأخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر إلى الموصولية لإفادة مدلول الصلة أنهم أعداء الله تعالى ورسوله –صلى الله عليه وسلم – وإفادة الموصول تعليل الحكم الوارد بعده وهو كونهم أذلِّين؛ لأنهم أعداء رسول الله – صلى الله عليه وسلم– فهم أعداء الله القادر على كل شيء فَعدوُّه لا يكون عزيزًا."([١٨])، كما أن التعبير بـــ "أولئك" يحمل إضاءة لا يصورها التعبير بالضمير، وتتمثل في تمكن المستمع أو القارئ من استحضار صورة الذين يحادون الله ورسوله، بالإضافة إلى أن التعبير باسم الإشارة الذي للبعيد يشي بمدى بعدهم عن جادة الصواب، ومن ثم فهم بعيدون عن رحمة الله وغفرانه؛ لذا يصدق فيهم وصف الحق – جل وعلا – بأنهم حزب الشيطان، ولا يخفى ما يحمله التعبير باسم الإشارة للبعيد مع حرف الجر "في" الذي يفيد معنى

١٧ – التحرير والتنوير، ٢٨/٥٥.

١٨ – التحرير والتنوير، ٢٨/٥٦.

الظرفية، وكأنهم على الرغم من بعدهم إلا أنهم متلبسون في الأذلين غير منفكين عنهم.

المبحث الثالث

جدول يبين مواضع عدول إلى الإظهار

الرقم	الآية	الحكم الإعرابي	الضمير بين الاتصال والانفصال والاستتار	الكلمة المعدولة
١	"وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ"	الجر	الاتصال	الله
٢	"وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا"	الرفع	الانفصال	الله
٣	" إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ "	النصب	الاتصال	الله
٤	" ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ "	الجر	الاتصال	الله
٥	"أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ "	الرفع	الانفصال	الله
٦	"إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ "	النصب	الاتصال	الله
٧	" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ".	الجر	الاتصال	الإثم والعدوان ومعصية الرسول
٨	"وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ "	الجر	الاتصال	الله
٩	" يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ "	الرفع	الانفصال	الله

١٠	"وَأَطِيعُوا اللَّـــهَ وَرَسُـــولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ "	الرفع	الانفصال	الله
١١	"أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ"	الجر	الاتصال	الشيطان
١٢	"أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ"	الجر	الاتصال	الشيطان
١٣	" إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّـــهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ"	الرفع	الاتصال	أولئك
١٤	" كَتَبَ اللَّهُ لَـــأَغْلِبَنَّ أَنَـــا وَرُسُـــلِي إِنَّ اللَّـــهَ قَـــوِيٌّ عَزِيزٌ"	النصب	الاتصال	الله
١٥	" رَضِـــيَ اللَّـــهُ عَـــنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ"	الجر	الاتصال	الله
١٦	"أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّـــهِ هُـــمُ الْمُفْلِحُونَ"	الجر	الاتصال	الله

بنظرة متأملة للجدول السابق حول ما يأتي:

أولاً: الحكم الإعرابي للاسم المعدول: نجد أن الاسم المعدول تعاورته الأحكام الإعرابية الثلاثة، الرفع والنصب والجر، ولكن على تفاوت فيما بينهم، حيث جاء مجرورًا في ثمانية مواضع، ومرفوعًا في خمسة، ومنصوبًا في بقيتهم، ويعني هذا أن الاسم المظهر المجرور تصدر القائمة، حتى استوعب ما يزيد عن نصف المواضع، ومن هنا يمكن القول: إن مجيء الاسم المظهر في حال الجر أكثر من غيره في العربية، ولعل الذي ساعد في ذلك هو كثرة الإضافات، إذ جاء الاسم المجرور في حال الإضافة خمس مرات ، في حين جاء مجرورًا بحرف جر ثلاث مرات،

وتشي تلك الإضافات بمدى التلازم الحاصل بين المضاف والمضاف إليه، كما أنها تُحدث في أذن المستمع أو القارئ ثبوتًا وتأكيدًا للمعنى، ولا يستطيع الضمير تصوير تلك القوة.

ثم تلا ذلك الاسم المظهر المرفوع، وقد تجلى ذلك في خمسة مواضع، أربعة مع اسم الله تعالى، وموضع واحد ليس فيه اسم الله، وأما الاسم المنصوب فقد جاء ثلاث مرات، كلها مع اسم الله تعالى كذلك، لكن اللافت للنظر أن كل مواضع الرفع والنصب جاءت خواتيم آيات إلا في موضع واحد، وهو قوله تعالى: "وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا" حيث جاءت في منتصف الآية؛ وكأنها تؤطر لقضية العدول من المجادلة إلى المحاورة التي ينبغي أن تكون بين المرأة والنبي

– صلى الله عليه وسلم– بينما أتت بقية المواضع في الخواتيم لتكون صالحة للتمثل بها، وبخاصة مع اشتمالها على حرف من حروف التأكيد مثل" إن".

ثانيًا: الضمير حال مجيئه مضمرًا: وبمطالعة مواضع الإظهار في السورة، ثم استبدالها بالضمير ، يمكن القول: إن الضمير المتصل يمكن أن يأتي في اثني عشر موضعًا، والضمير المنفصل في أربعة فقط، في حين خلا من الضمير المستتر، ولما كان العرب بسليقتهم يميلون إلى الإيجاز؛ لذا أمكن القول من خلال نسبة إمكانية مجيء الضمير المستتر أكثر من المنفصل؛ لأن الضمير المتصل هو والكلمة التي أضيفت إليه أصبحا كالكلمة الواحدة، ومن هنا يتبدى كثرة وضع الضمير المتصل مكان الاسم الظاهر، إذ وضعه على هذا النحو أوجز من الضمير المنفصل، ومن جهة أخرى نجد عدم إمكانية وضع الضمير المستر مكان

الاسم المظهر، ولو حدث ذلك لاختل الكلام، كما لا يخفى ما بين الإظهار والاستتار من تباين في المعنى والدلالة.

وقد التفت النحويون إلى تقدم الضمير المتصل على المنفصل، وممن أشار إلى ذلك الرضي في شرحه على الكافية، حيث قال:" و المتصل مقدّم على المنفصل، فقال:" والمتصل مقدم على المنفصل لكونه أخصر" (١٩)، ومن هنا يُفهم من العبارة السابقة أن " كل موضع أمكن أن يؤتى فيه بالضمير المتصل لا يجوز العدول عنه إلى المنفصل؛ لأن الغرض من وضع المضمرات إنما هو الاختصار، والمتصل أخصر من المنفصل فلا عدول عنه إلا حيث لم يتأت الاتصال" (٢٠)؛ لذا يتبدى علة كثرة إمكانية وضع الضمير المتصل موضع الاسم الظاهر أكثر من الضمير المنفصل كما أشار إلى ذلك النحويون.

ثالثًا: الكلمات المعدولة "المظهرة": بعد حصر الأسماء المظهرة في السورة تبين أنها تدور حول اسم الجلالة " الله"، وذلك في اثني عشر موضعًا، و"الشيطان" في موضعين، واسم الإشارة " أولئك" في موضع واحد، و"الإثم والعدوان ومعصية الرسول"، في موضع واحد كذلك؛ أي: إن اسم الله جاء ثلاثة أضعاف بقية المواضع جميعها، ولعل المتأمل قضية تكرار اسم الجلالة بهذا الشكل وعلى هذا النسق العجيب، حيث جاء ما بين مواضع يتوجب فيها الذكر، وأخرى من الممكن إحلال الضمير مكان

---

١٩ – شرح الرضي على الكافية٢/٤١١، تحقيق: يوسف حسن عمر منشورات جامعة قاريونس بني غازي، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.

٢٠ – شرح الأشموني على ألفية ابن مالك لعلي بن محمد بن عيسى أبو الحسن الأشموني، ٩١/١، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

الاسم الظاهر يتبدى له مدى الإعجاز والقدرة في أن يتحدث المتكلم عن نفسه مع إعادة اسمه بهذه الآلية العجيبة، حيث امتد التصريح باسم الله تعالى في السورة كلها ليصل إلى أربعين مرة، في حين بلغ عدد آيات السورة اثنتين وعشرين آية فقط، ولو قمنا بقسمة عدد مرات ذكر اسم الله تعالى على عدد آيات السورة لكانت النسبة واحد فاصل ثمانية من عشرة (١,٨)، لكن ذلك لم يكن إذ اتسمت السورة دون سور القرآن الكريم كله بأن حوت كل آية منها اسم الجلالة " الله" ، كما ازداد الذكر ليصل إلى أربع مرات في الآية الأولى من السورة، وخمس مرات في الآية الأخيرة منها، وبنظرة متأملة متأنية بين اسم السورة والقضايا التي عالجتها، وبين علة تكرار اسم الله تعالى في كل آية من آياتها يتبين مدى التعانق والتآزر الحادث بين اسم السورة "المجادلة" وبين علة التكرار، إذ المجادلة من الجدل، وبين ذلك ابن فارس في مقاييسه:" الجيم والدال واللام أصلٌ واحدٌ، وهو من باب استحكام الشيء في استرسالٍ يكون فيه، وامتدادِ الخصومة ومراجعةِ الكلام. وهو القياس الذي ذكرناه".([٢١])، وجاء في اللسان : "الجَدْل شِدَّة الفَتْل وجَدَلْتُ الحَبْلَ أَجْدِلُه جَدْلاً إِذا شددت فَتْله وفَتَلْتَه فَتْلاً مُحْكَمًا، ومنه قيل لزمام الناقة: الجَدِيل ابن سيده جدل الشيءَ يَجْدُله ويَجْدِله جَدْلاً أَحكم فَتْله، ومنه جارية مَجْدُولة الخَلْق حَسَنة الجَدْل والجَدِيل الزمام المجدول "([٢٢])، ومن هنا فقد كثرت الموضوعات التي فيها جدل أي أخذ ورد في الكلام بين المتحاورين، حيث يجتهد كل متحاور في الانتصار لما يرى، وتبدى ذلك في مجادلة المرأة لرسول الله – صلي الله عليه وسلم–

٢١ – معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة :" الجيم، والدال، واللام".

٢٢ – ينظر: لسان العرب لابن منظور مادة : " الجيم ، والدال، واللام".

كما جاء في صدر السورة، ثم امتدت بقية موضوعات السورة لتنهل من المعين نفسه الذي يعتوره الجدال والأخذ والرد، كما في قضية النجوى والتناجي بالإثم والعدوان، والتفسح في المجالس، ثم تولي من غضب الله عليهم، واتخاذ أيمان الله جُنة ؛ ومن ثم كان الغضب من الله تعالى، والحديث عن قضية البعث، واستحواذ الشيطان على الكفار، ثم الحديث عن قضية غلبة الله تعالى هو وجنده، ثم تُختتم السورة بالحديث عن الإيمان بالله واليوم الآخر، وأن الإيمان بهم مقدم على من حاد الله ورسوله، مهما بلغت درجة القرابة كما فصلتها الآية الأخيرة من السورة، وبالنظر إلى الموضوعات السابقة، وإلى اسم السورة وإلى المادة التي أُخذت منها اسم السورة " الجيم، والدال، واللام" وإلى المعنى المعجمي لهذه المادة يتبين أن موضوعات السورة بنيت على الجدل القائم بين طرفين؛ لذا يحاول كل طرف أن ينتصف لرأيه، ولما كان الجدال يحتاج إلى الحجة والبرهان لتقوية الرأي حتى يستقر في نفس المستمع أو المتلقي، والذكر كما هو معلوم من أساليب تقوية الأسلوب وتأكيده، كما يساعد في استقرار المعنى، ومن هنا جاء تكرار اسم الله تعالى وذكره في كل آية بشكل صريح دون الاعتماد على الضمير في تصوير المعنى، كما أن هناك أمرًا آخر يتعلق بذكر اسم الله تعالى، وهو أن الذكر يورث قلب المؤمن اطمئناناً للنفس وسكينة للقلب، قال تعالى : " الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ" (٢٣) كما أن السورة مدنية، ومما هو معلوم أن السور المدنية لها طابع سياقي يختلف عن السور المكية في المعالجة

٢٣ – سورة الرعد آية رقم "٢٨".

بسب اختلاف طبيعة المخاطبين، وطبيعة الموضوعات التي يعالجها كل من المدني، والمكي.

الخاتمة

وبعد هذه السياحة بين رياض القرآن الكريم من خلال سورة المجادلة؛ من أجل إبراز مواطن الجمال في سر عدول الأسلوب القرآني إلى التصريح بالاسم الظاهر يمكن القول:

أولاً: اشتملت السورة على ستة عشر موضعًا جاء الاسم فيها معدولاً إلى الإظهار مع إمكان وضع المضمر مكانه، وقد تجلى اسم الجلالة في اثني عشر موضعًا، ولفظ الشيطان في موضعين، واسم الإشارة أولئك في موضع، وجملة الإثم والعدوان ومعصية الرسول في موضع واحد كذلك.

ثانيًا: يمكن وضع الضمير المتصل موضع الاسم الظاهر في اثني عشر موضعًا، في حين يتأتى الضمير المنفصل في أربعة فقط، وتلك نسبة تؤكد مذهب العرب في ميلهم إلى الإيجا؛ إذ الضمير المتصل أخصر من المنفصل.

ثالثًا: من يمعن النظر في الموضوعات التي طرحتها السورة وأسلوب الإظهار الذي تجلت قسماته في كل أعطاف السورة يجد تآزرًا شديدًا إذ التعبير بالاسم المظهر أقوى في الدلالة من الضمير وبخاصة في الموضوعات التي تشتمل على جدل و محاورة ومحاجة بين المتحاورين.

رابعًا: لعل من دعائم إعادة الاسم بشكل صريح هو صلاح الجملة مع الذكر لأن يُتمثل بها؛ ولعل ذلك لائح في خواتيم الآيات.

خامسًا: يتجلى دور العدول إلى الإظهار في سورة المجادلة من أجل بث الطمأنينة تارة، و إبراز جانب الغلبة والقوة تارة أخرى، كما يتأتى في مواطن الإضافات المتلازمة.

سادسًا: اتسمت سورة المجادلة عن غيرها من سور القرآن الكريم باشتمال كل آية من آياتها على اسم الجلالة، "الله" بل امتد الذكر ليصل إلى خمس مرات في الآية الأخيرة، جاء الاسم مرتين منهم معدولاً إلى الإظهار بدلاً عن الإضمار، في حين تضمنت الآية الأولى اسم الجلالة أربع مرات، منهم ثلاث مرات في صيغة الإظهار، مما يعني اشتمال الآية الأولى والأخيرة على خمس مواضع؛ ومما لاشك فيه أن العدول إلى الإظهار في الصدر والختام يحمل دلالات وإيحاءات تتوافق مع ما طرحته الآيتان، فالمرأة التي جاءت للنبي كانت مهيضة الجناح إذ عيالها بين الجوع أو الضياع، ومن هنا بث الإظهار رسالة طمأنينة، أما الآية الأخيرة فعالجت قضية الإيمان بالله واليوم الآخر إزاء موالاة الآباء أو الأبناء أو الإخوان أو العشيرة ، ثم تأتي البشارة في صورة الإظهار لتحقق في النفوس المضطربة رضا وهدوءًا لا يبعثه الضمير.

سابعًا: على الرغم من قصر بعض آيات السورة حيث نجد بعضها لا يتجاوز خمس عشرة كلمة إلا أنها جاءت معدولة إلى الإظهار دون الإضمار، وتلك ظاهرة تؤكد ما يحمله الإظهار في إبراز المعنى وتقويته في نفس المتلقي .

ثامنًا: حملت السورة بين حناياها العديد من المواطن التي اتسمت بالمراوحة بين الأفعال سواء أكانت في صيغة المضارعة، أم في صيغة الماضي أم في صيغة الأمر؛ وفي ذلك إيحاء بالحركة والتجدد والحدوث، وربما تعدى ذلك لإظهار شدة الانفعالات النفسية وبخاصة في آية صدر السورة.

فهرس المصادر والمراجع

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، (المتوفى: ٩٨٢هـ)، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت." تفسير أبي السعود".
- أسرار البلاغة، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر ،ط: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.
- إعجاز القرآن لأبي بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، تحقيق : السيد أحمد صقر، ط:دار المعارف – القاهرة.
- البسيط في شرح جمل الزجاجي لابن أبى ال ربيع الإشبيلي، تحقيق: عباد بن عيد، ط: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٧/ ١٩٨٦م.
- البلاغة والأسلوبية، ط: مكتبة لبنان، الشركة المصرية للنشر لونجمان، الطبعة الخامسة ٢٠١٨م.
- تأويل مشكل القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ١٧، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- التحرير والتنوير ــ الطبعة التونسية، للشيخ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، دار النشر: دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧م.
- خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د/ محمد محمد أبو موسى، نشر: مكتبة وهبة، الطبعة: الرابعة،١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

● خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني للدكتور/ محمد محمد أبو موسى ، نشر: مكتبة وهبة، الطبعة: السابعة.

● دلائل الإعجاز في علم المعاني، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، نشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

● شرح الأشموني على ألفية ابن مالك لعلي بن محمد بن عيسى أبو الحسن الأشموني، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

● شرح الرضي على الكافية، تحقيق: يوسف حسن عمر منشورات جامعة قاريونس بني غازي، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.

● لسان العرب لابن منظور ،محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، نشر : دار صادر –بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤ هـ.

● المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير" ٦٣٧ هـ "، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ط: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع الفجالة القاهرة.

● المحصول، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.

●مقاييس اللغة لابن فارس ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ،تحقيق : عبد السلام محمد هارون، نشر : دار الفكر، الطبعة : ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

محتويات البحث

أولاً: الملخص باللغة العربية.

ثانيًا: الملخص باللغة الإنجليزية.

ثالثًا: المقدمة.

رابعًا: التمهيد.

خامسًا: المبحث الأول: دلالة العدول إلى ذكر اسم الجلالة.

سادسًا: المبحث الثاني: دلالة العدول إلى غير اسم الله تعالي.

سابعًا: المبحث الثالث: جدول يبين مواضع العدول.

ثامنًا: الخاتمة.

تاسعًا: فهرس المصادر والمراجع.

عاشرًا: محتويات البحث.